الوحدة الموضوعية في سورة الماعون
دراسة تفسيرية موضوعية

الباحثة: مريم بنت علي محمد المزم
قسم: الشريعة والدراسات الإسلامية

المستخلص:

يعد التفسير الموضوعي من التفاسير التي تعنى ببيان الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وذلك من خلال بيان التناسق العام بين آياتها، وهذه محاولة لبيان الوحدة الموضوعية في إحدى سور القرآن الكريم؛ إذ تهدف هذه الدراسة إلى بيان (الوحدة الموضوعية في سورة الماعون)، وتحديد الهدف الأساسي للسورة، والوقوف على وحداتها ودروسها.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي؛ وذلك لملائمته لغرض الدراسة، وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية التي وردت في سورة الماعون، ودراستها والاستنباط منها وفق منهجية التفسير الموضوعي، وقسمتها إلى مقدمة وثلاثة فصول تتبعها خاتمة: جعلت الفصل الأول: في التعريف بالتفسير الموضوعي، وأنواعه، وفي الفصل الثاني: التعريف بسورة الماعون، أما الفصل الثالث ففيه: دروس السورة، وختمت الدراسة بأهم التوصيات التي توصلت إليها.

المقدمـة

"إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"[1]، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

---

[1] خطبة الحاجة، أخرجها أحمد في مسنده (٦/٢٦٢/ح٣٧٢٠).

فإن أعظم ما تشاغلت به الاوقات كتاب الله – تعالى –، وأولى العلوم المتعلقة به علم التفسير الذي فيه بيانه وفهمه، ومن هنا اشتغل العلماء بتفسيره، والنهل من معينه العذب النمير، واستدرار كنوزه، وتعددت طرقهم في استخراج مكنوناته، ولهم في تناول هذا العلم أربعة أساليب، منها (التفسير الموضوعي)، والذي يُعنى بجمع أطراف موضوعٍ ما من القرآن الكريم، إما عن طريق دراسة لفظ أو مصطلح قرآني، وإما بدراسة قضية أو موضوع عالجه القرآن، وإما بدراسة موضوع سورة معينة، وفي هذا اللون من التفسير مجال بحثنا، ولأجله كتبت هذه الدراسة، إذ اخترت تطبيق دراسته في موضوع (الوحدة الموضوعية في سورة الماعون)، وهو موضوع بالغ الأهمية؛ حيث إن تدبر القرآن هو التوصل إلى معرفة الآيات وأهدافها، وما تتضمنه من المعاني والأحكام، وذلك بقصد الانتفاع بما فيها، والاهتداء بهديها، وقد تضمنت سورة الماعون بيان المنهج الصحيح في المعاملات والأخلاق، فجديرٌ بالمسلم معرفة تفسيرها والوقوف على هداياتها.

وتهدف الدراسة إلى:

١- خدمة كتاب الله –تعالى– بإضافة بحث حول (الوحدة الموضوعية في سورة الماعون).

٢- الوقوف على أسلوب من أساليب القرآن في تزكية النفوس.

٣- بيان المنهج الصحيح في معالجة بعض مشاكل المجتمع، وفق ضوء القرآن الكريم.

وقد اتبعت في الدراسة:

المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

ومن أهم النتائج:

١- المقصود الأعظم للسورة: بيان أن التكذيب بالجزاء والحساب أساس كل خلق ذميم، وسبب لكل ذنب.

٢- أهمية التدبر في الخطاب القرآني لمعالجة الكثير من الأخطاء المنهجية في الأمة الإسلامية.

٣- أهمية انتماء المسلم لمجتمعه والمساهمة في بنائه وتطوره.

٤- التأكيد على العناية باليتيم والمسكين، بتخصيص ما يسدُّ حاجتهم من خلال المساهمة في المؤسسات الخيرية التي ترعاها الدولة -حفظها الله ووفقها-.

٥- يخلو المجتمع من الانحراف والجريمة وسوء الأخلاق، كلما ساهم المجتمع بإعالة المحتاجين.

وختمت بالتوصيات التالية:

١- أوصي الباحثين بالعناية بدراسة الوحدة الموضوعية لسور القرآن.

٢- أوصي بدراسة وتأصيل الأسس العلمية التي تؤدي إلى تكاتف المجتمع، والعمل بما جاء في هذه السورة؛ ليتسنى للمجتمع أن يعود لحياته القرآنية، بما يحصل لهم من الإيمان بالله، وإقامة الصلاة، والإخلاص في العبادة، وتيسير أمور الضعفة والمساكين.

٣- أوصي بتقديم مقترحات ودراسات تخدم المؤسسات الخيرية والأوقاف في مجال كفالة الأيتام، وسد حاجة المساكين.

أهمية الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع:

١- كونها دراسة قرآنية جاءت لخدمة كتاب الله – تعالى –.

٢- ارتباطها بالواقع الذي نعيشه؛ حيث نجد انتشار المنهيات في سورة الماعون من: صفات المكذِّبين من الكفار والمنافقين.

٣- اكتساب المهارة في النظرة الشمولية عند دراسة الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية.

٤- إثراء الدراسات الموضوعية بإضافة دراسة حول (الوحدة الموضوعية في سورة الماعون).

أهداف الدراسة:

١- خدمة كتاب الله – تعالى – بإضافة بحث في التفسير الموضوعي حول (الوحدة الموضوعية في سورة الماعون).

٢- ذكرُ نموذج للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، وذلك من خلال دراسة سورة الماعون.

٣- الاطلاع على منهج القرآن الكريم في تهذيب النفوس، من خلال التحذير من صفات الكفار والمنافقين.

٤- بيان المنهج الصحيح في معالجة بعض مشاكل المجتمع، وفق ضوء القرآن الكريم.

٥- الوقوف على أسلوب القرآن في تدرجه بالرقي في الجانب التربوي.

مشكلة الدراسة:

إن سورة الماعون قد تحدثت كما هو ظاهر من آياتها عن عواقب التكذيب بيوم الدين، وعواقب النفاق، فهذه "السّورة تصلح عنوانًا بارزًا لكل أنواع التكافل الاجتماعي فيما بين الناس، حتى تسود المحبة والود، ويتآلف البشر، ويعم الرفاه والاستقرار أنحاء المجتمع وتعيش كل جماعة في أمن وعافية وسلام"، ولذلك جاءت هذه الدراسة للوحدة الموضوعية في سورة الماعون.

تساؤلات الدراسة:

١- ما هو تعريف التفسير الموضوعي، وماهي أهميته، وماهي أنواعه؟

٢- ماهي أسماء سورة الماعون؟

٣- أين نزلت سورة الماعون؟

٤- ما هو عدد آيات سورة الماعون؟

٥- ماهي مناسبة السورة لما قبلها؟

٦- ما هو الهدف العام للسورة؟
٧- كيف نفسر سورة الماعون في ضوء وحدتها الموضوعية؟
٨- ما هو منهج القرآن الكريم في التحذير من نعوت المكذِّبين من الكفار والمنافقين من خلال هدايات السورة؟

حدود الدراسة:

آيات سورة الماعون، وقد بلغ عددها سبع آيات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري حول موضوع هذه الدراسة، لم أجد بحثاً بعنوان مماثل لبحثي، ولم يتبين لي أنه توجد دراسة خاصة بالوحدة الموضوعية في سورة الماعون، وإنما وقفتُ على دراساتٍ في الوحدة الموضوعية لسورٍ أخرى من القرآن، ودراساتٍ موضوعية متعلقة بسورة الماعون، أو بحوث كتبت في بعض جوانب السورة، ومن أهم تلك الدراسات:

١- "الوحدة الموضوعية لسورة الجمعة"، د.عواطف البساطي، بحث في مجلّة الجامعة الإسلامية، العدد ١٨٤، الجزء:١.
٢- "الوحدة الموضوعية في سورة الحجرات"، لمنصور العمراني، بحث في مجلة جامعة البيضاء- مجلد ١ عدد ١ (٢٠١٩)
٣- "الفوائد المستنبطة من سورة الماعون: دراسة استقرائية"، للباحث: طارق يوسف إسماعيل سليمان، بحث منشور في المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة، العدد: ١٧، ٢٠١٩م.
٤- "المنهيات في سورة الماعون: دراسة موضوعية بيانية"، للباحث: رجب، عبد الرزاق أحمد أسعد، يحث محكم، المصدر: المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل – العلوم الإنسانية والإدارية، المجلد: ٢٠، الناشر: جامعة الملك فيصل.

٥- "لطائف بيانية في سورة الماعون"، المؤلف: غزال، غزال صالح، بحث محكم، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد:٤٠، ديوان الوقف السني - مركز البحوث والدراسات الإسلامية.

ما يتميز به البحث عن الدراسات السابقة:

من خلال النظر في الدراسات السابقة، نجد أنها إما دراسات في الوحدة الموضوعية لسورٍ أخرى، أو دراسات لبعض جوانب السورة؛ لكن لم يتبين لي وجود دراسة خاصة بالوحدة الموضوعية لسورة الماعون الذي هو محور الدراسة.

المنهجية

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي ثم الاستنباطي، وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية التي وردت في سورة الماعون، ودراستها والاستنباط منها وفق منهجية التفسير الموضوعي.

واما المنهج التفصيلي للبحث، فهو كالتالي:

١- استقراء الآيات القرآنية التي وردت في سورة الماعون.

٢- كتابة الآيات بالرسم العثماني، بكتابة "اسم السورة ورقم الآية" بين قوسين.

٣- عزو الأحاديث: واكتفي بالعزو فقط إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، أما إذا كان في غيرهما، فأخرجه من مظانه من الكتب الستة ومسند الإمام أحمد، مع العناية ببيان درجة الحديث.

٤- بيان معاني الألفاظ - عند علماء اللغة، وبيان معناها الاصطلاحي.

٥- جمع ما جاء في معناها من أقوال المفسرين، متتبعة ماورد في معناها من السنة النبوية.

٦- استخراج اللطائف واللفتات المتعلقة بالسورة.

٧- ضبط ما يشكل من الكلمات.

٨- توثيق المعلومات وعزو الأقوال إلى قائليها؛ بحيث يتم التوثيق عند أول مرة بذكر اسم الكتاب، وشهرة المؤلف، والجزء، والصفحة، وأجلت ذكر معلومات التوثيق كاملة إلى فهرس المصادر والمراجع؛ لكيلا أثقل الحواشي.

٩- الترجمة للأعلام الذين وردت أسماؤهم، مع عدم الترجمة للصحابة والتابعين -رضي الله عنهم-.

خطة الدراسة:

ينقسم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، على النحو التالي:

ذكرت في المقدمة: أهمية الدراسة وأسباب اختيارها، وأهدافها، ومشكلتها، وتساؤلاتها، وحدودها، ومصطلحاتها، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة.

الفصل الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي، وأنواعه، ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي.

المبحث الثاني: أنواع الدراسات التفسيرية الموضوعية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدراسة الموضوعية للمصطلح القرآني.

المطلب الثاني: الدراسة الموضوعية لموضوع قرآني.

المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية للسور القرآنية.

الفصل الثاني: التعريف بسورة الماعون، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أسماء السورة.

المبحث الثاني: مكية السورة أو مدنيتها، وسبب نزولها.

المبحث الثالث: مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

المبحث الرابع: فضل السورة.

المبحث الخامس: مقاصد السورة.

الفصل الثالث: تفسير سورة الماعون في ضوء وحدتها الموضوعية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ذمّ الكافر المكذب بيوم الحساب والجزاء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذم الكافر بعدم إحسانه في عبادة ربه.

المطلب الثاني: ذم الكافر بعدم فعل الخير لغيره.

المبحث الثاني: ذم المنافق الذي أظهر الإسلام وأخفى الكفر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف المنافق بالغفلة عن الصلاة.

المطلب الثاني: وصف المنافق بمراءاته الناس بعمله.

المطلب الثالث: وصف المنافق بمنع الماعون. وختمت الدراسة بأهم التوصيات.

النتائج

١- هنالك تناسق عجيب بين آيات وموضوع السورة الرئيس، وقد تضمنت خمسة محاور فرعية خادمة للموضوع الرئيس.

٢- المقصود الأعظم للسورة هو بيان أن التكذيب بالجزاء والحساب هو أساس كل خلق ذميم، وسبب رئيس لكل ذنب عظيم.

٣- العناية بالانتماء للمجتمع المسلم، وبذل الجهد في تطويره.

٤- التأكيد على العناية باليتيم والمسكين، وتلمُّس حاجاتهم، بتخصيص ما يسدُّ حاجتهم من خلال المساهمة في الأوقاف والمؤسسات الخيرية التي ترعاها الدولة -حفظها الله ووفقها-.

٥- بثُّ روح التعاون وحب الخير في المجتمع.

٦- عندما يشارك الأغنياء الضعفاء بأموالهم، تتحقق العدالة في المجتمع المسلم، ويزداد تماسكه.

٧- "يخلو المجتمع من الانحراف والجريمة وسوء الأخلاق، كلما ساهم المجتمع وأفراده الأقوياء على إعالة المحتاجين".

٨- استخدام أسلوب الترهيب في التحذير من السهو عن الصلاة.

المناقشة و/أو الاستنتاجات

الفصل الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي، وأهميته، وأنواعه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي

لم يكن مصطلح التفسير الموضوعي موجودًا كمصطلح، ولكن له جذوره التي ظهرت في عصر النبوة، ويحسُن بنا قبل البدء في تناول الوحدة الموضوعية لسورة الماعون، أن نعرّف بالتفسير الموضوعي في اللغة وفي الاصطلاح.

أولاً: تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح:

لتعريف هذا المصطلح سنعرف ما يتكون منه من كلمات، ثم يُجمع بينها؛ لنحصل على تعريف أقرب ما يكون لهذا المصطلح.

تعريف التفسير:

التفسير لغة: (فَسِرَ) "تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ"، ومِنْ ذَلِكَ "الْفَسْرُ":[١] وهو الكشف والبيان [٢].

اصطلاحاً: «علمٌ يُعرفُ به فَهْمُ كتابِ اللهِ المنَزَّلِ على نبيه محمدٍ ﷺ"، "وبيانُ معانيه، واستخراجُ أحكامِه وحِكَمِهِ»[٣].

تعريف الموضوع:

الموضوع لغة: من الوضع، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت[٤].

اصطلاحاً: "قضية، أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة"، "في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تناولتها آيات القرآن الكريم" [٥].

---

[١] معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبدالسلام هارون، (٤/ ٥٠٤)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م.
[٢] ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، (١٢/ ٤٠٦)، ولسان العرب، لابن منظور، (٥/ ٥٥) بتصرف.
[٣] البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ١٣).
[٤] الصحاح تاج اللغة، للجوهري (وضع) (٣/ ١٢٩٩).
[٥] مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ص١٦.

أما **تعريف مصطلح "التفسير الموضوعي"** بعد أن أصبح فرعاً من فروع التفسير فقد تعددت تعاريفه، ومنها:

- أنه بيان ما يتعلق بموضوع من الموضوعات الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده. [١]

- وقال بعضهم: هو علمٌ يبحث في مسائل القرآن الكريم، المتفقة في المعنى أو الغاية، بجمع ما يتعلق بها من آيات، والنظر فيها وفق منهجٍ مخصوص، لتوضح مفهومها، واستخراج عناصرها، وربطها بما يجمع معناها. [٢]

- وقيل: "هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر".

وبالنظر في هذه التعاريف يتضح أنّها اشتركت في أساسياتها العامّة من حيث كون الدراسة قرآنيّة شاملة، وأنّها تدور حول موضوع معيّن، وتعتمد على جمع الآيات، وتهدف إلى الخروج بنظرة قرآنيّة حول الموضوع الذي يتم البحث فيه.

"ولعل التعريف الأخير هو الأرجح"، "لخلوه عن التكرار ولتضمنه نوعيه الرئيسيين"، "أما التعاريف السابقة فيغلب عليها طابع الشرح والتوضيح لمنهج البحث في التفسير الموضوعي" [٣].

المبحث الثاني: أنواع الدراسات التفسيرية الموضوعية

التفسير الموضوعي له ألوانٌ مختلفة بحسب الموضوع أو القضية التي يتم تناولها بالتفسير، وبالنظر إلى تنوع مناهج المفسرين بهذا النوع، نجد أنّ هناك ثلاثة أنواع للدراسات التفسيرية الموضوعية، سنتناولها في مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول: الدراسة الموضوعية للمصطلح القرآني:

---

[١] المرجع السابق: ص ١٦ (بتصرف يسير).

[٢] ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، د. عبدالستار سعيد ص٢٠، و المدخل إلى التفسير الموضوعي، د. إبراهيم الحميضي، ص١٥ (بتصرف).

[٣] ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ص١٦، (بتصرف).

وهذا النوع هو تفسير مصطلح أو مفردة معينة من خلال القرآن الكريم: بأن "يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية"، "وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها"، "وكثير من الكلمات القرآنية المتكررة أصبحت مصطلحات قرآنية"، مثل دراسة لفظ أو مفردة: الأمة، الصدقة، المكر، الفتنة.[١]

وهذا اللون يرجع في الأصل إلى ما يُعرف بعلم الوجوه والنظائر، وكتب الأشباه والنظائر[٢] حوت في طياتها هذا النوع، وعليها المعتمد في أمثال هذه الدراسات؛ بيد أن القدماء تركز تفسيرهم للمفردات في حيز الدلالات اللفظية[٣]، في حين نجد المعاصرين قد اعتنوا بتتبع المفردات، مع الربط بين دلالاتها غالباً، فأصبحت دراساتهم مشابهةً إلى حدٍ ما للنوع الثاني[٤].

المطلب الثاني: الدراسة الموضوعية لموضوع قرآني:

وهي "دراسة موضوع ما يلحظ الباحث تعرض القرآن الكريم له بأساليب متنوعة في العرض، والتحليل، والمناقشة، والتعليق"، وذلك "بتتبع الموضوع من خلال جمع الآيات التي تناولت الموضوع"، وتصنيفها، وتفسيرها، وبيان هداياتها، مع إنزالها على الواقع ومحاولة حل المشكلات في ضوء القرآن، مع ملاحظة تجنب الأمور الجزئية في التفسير كالقراءات، والأوجه الإعرابية والبلاغية إلا بقدر ما يضيء الأفكار الأساسية، ويُراعى في ذلك الأسلوب الشيق لبيان مقاصد الآيات.

---

(١) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار سعيد، ص ٢٤، ومباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ص٢٣، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، د. إبراهيم الحميضي، ص٣٢، ٣٣ (بتصرف).

(٢) من امثلتها: كتابه (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) للدمغاني (ت ٤٧٨هـ) ، وألف أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) كتاباً أسماه:(الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها) وفي القرن السادس ألف ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) كتاباً اطلق عليه اسم : (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم).

(٣) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ص٢٣ (بتصرف يسير).

(٤) وللتوسع أكثر: ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر، للدامغاني، المفردات، للراغب الأصفهاني.

وهذا النوع من التفسير الموضوعي هو "المشهور في عرف أهل الاختصاص"، وهو "المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق"، [1] والمصنفات فيه كثيرة قديمًا وحديثًا، فما كتب: "إعجاز القرآن [2]، والناسخ والمنسوخ في القرآن[3]، وأحكام القرآن[4]، وأمثال القرآن"[5]، قديمًا "إلا أمثلة ناطقة على أهمية هذا اللون من التفسير عند السلف الصالح من علماء هذه الأمة".[6]

وكذلك "الموضوعات **المعاصرة:** المتعلقة بمجالات المعرفة المختلفة حيث ربطها الباحثون بالقرآن ونظروا بمنظاره إليها، سواء كانت مما يتعلق بالكون، أو بالإنسان، أو بالحياة الاجتماعية، ولايكاد يوجد موضوع في القرآن إلا وفيه دراسة، على تفاوتٍ في المنهج والجودة [7]، ولا تكاد تنتهي موضوعات هذا النوع، بل كلما استجدت علوم يجد الباحث في القرآن مايقنع فكره، ويطمئن قلبه من عرض لأساسيات هذا الفرع بوضع الأسس العامة والتوجيهات الأساسية فيه.[8]

---

(١) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار سعيد، ص ٢٤، ٢٥، ومباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ص٢٧، ٢٨، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، د. إبراهيم الحميضي، ص٣٠، ٣١ (بتصرف).

(٢) إعجاز القرآن: أُلِّف في هذا العلم كتب كثيرة يتحدَّث فيها مصنِّفوها عن وجوه الإعجاز القرآني، ومناحيه ومسائله المتعلقة به، ومن تلك المؤلفات:

١- إعجاز القرآن، لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت:٣٠٦). ٢- إعجاز القرآن، للقاضي أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣).

ينظر: دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل، ص (٣٤٧-٣٥٠) (بتصرف).

(٣) الناسخ والمنسوخ في القرآن: علمَ النَّاسخِ والمنسوخِ من أشهرِ علومِ القرآنِ، وأكثرها كُتُبًا، إذ كتبَ فيه عددٌ كثيرٌ من العلماءِ، ومن كتبهم المطبوعة:

١ - كتاب النَّاسخِ والمنسوخِ في كتابِ الله تعالى، لقتادة بن دِعامة السَّدوسيّ (ت: ١١٧).

٣ - الناسخ والمنسوخ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤).

ينظر: أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتفسير القُرآن الكريم، لمساعد الطيار، ص ١٠١ (بتصرف).

(٤) أحكام القرآن: ألَّفَ العلماءُ في هذا العلم قديمًا، وكان من أوائلِ ما ألف فيه:

١- أحكام القرآن، للقاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضميُّ (ت: ٢٨٢). ٢- كتاب أحكام القرآن، لأبي بكر الجصَّاص الحنفيّ (ت: ٣٧٠).

ينظر: أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتفسير القُرآن الكريم، لمساعد الطيار، ص ٩٥ (بتصرف يسير).

(٥) أمثال القرآن: مِنْ أَعْظَمِ عِلْمِ الْقُرْآنِ عِلْمُ أَمْثَالِهِ، وقد أَفْرَدَهُ العلماء بالتصنيف، ومن هذه المصنفات:

١- أمثال القرآن، للجنيد بن محمد القواريري (ت: ٢٩٨ هـ). ٣- الأمثال في القرآن، لشمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

ينظر: الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (٤/٤٤)، ومقدمة تحقيق كتاب الأمثال في القرآن، لابن قيم الجوزية، ت: سعيد محمد نمر الخطيب (بتصرف).

(٦) ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار سعيد، ص ٢٤، ٢٥، ومباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ص٢٧، ٢٨، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، د. إبراهيم الحميضي، ص٣٠، ٣١ (بتصرف).

(٧)ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ص٢٨، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، د. إبراهيم الحميضي، ص٣١ (بتصرف).

(٨) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ص٢٨ (بتصرف يسير).

المطلب الثالث: الوحدة الموضوعية للسور القرآنية:

وهذا النوع قريبٌ من سابقه؛ إلا أن دائرة هذا النوع أضيق من دائرة النوع السابق.

تعريف الوحدة الموضوعية:

الوحدة في اللغة: (وَحَدَ) "الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِانْفِرَادِ". [١]

اصطلاحاً: الوحدة عند المشتغلين بالتفسير هي: المحور أو الأساس الذي تدور حوله الموضوعات المتعددة في السورة.[٢]

وتعريف الوحدة الموضوعية للسور القرآنية: هو تفسير سورة معينة من خلال التمهيد التعريفي لها، وتفنيدها إلى مقاطع حسب موضوعاتها ومقاصدها، وعنونة كل مقطع، وتفسيره، وبيان هداياته وفق المنهج المعروف، كما ينبغي "أن يبحث في هذا اللون عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة، ويكون هنا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة".[٣]

"ولم يظفر هذا اللون من التفسير الموضوعي بعناية المفسرين القدماء، بل جاء في ثنايا تفاسيرهم الإشارة إلى بعض أهداف السور وخاصة القصيرة منها، وكذلك الاعتناء بوجه المناسبة بين مقاطع بعض السور"، كما فعل الفخر الرازي[٤] في "تفسيره الكبير"، وكذا البقاعي[٥] في "نظم الدرر"، أما في الوقت المعاصر: فمن المؤلفات:

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ٩٠)، و الصحاح، للجوهري، مادة (وحد) ، (٢/ ٥٤٨) (بتصرف يسير).

(٢) ينظر: تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، د/محمد بن عمر با زمول (١ /٣٧) (بتصرف يسير).

(٣) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ص٢٩، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، د. إبراهيم الحميضي، ص ٣٢ (بتصرف).

(٤)الرازي هو: محمد بن عمر بن الحسين، المعروف بالفخر الرازي، الأصولي، كان أشعريًّا فيلسوفاً، ثمَّ ترك هذه العقائد آخر عمره، وله وصية مشهورة في ذلك، وقد كان كثير التصنيف، ومن تصانيفه كتاب التفسير الكبير، المسمى: مفاتيح الغيب، (ت: ٦٠٦هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢١/ ٥٠٠، ٥٠١)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٤/ ٢٤٨- ٢٥٩).

(٥)البقاعي هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥ هـ. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي (١/ ١٠١)، الأعلام، للزركلي (١/ ٥٦).

"تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام"، و"معركة النبوة مع المشركين" أو: "قضية الرسالة كما تعرضها سورة الأنعام"، [١]، لإبراهيم الكيلاني.[٢]

الفصل الثاني: التعريف بسورة الماعون

سورة الماعون سورةٌ عظيمة في بنائها، وهي من سور المفصل[٣]، وقد بينت الارتباط الوثيق بين العقيدة والسلوك؛ فهي تخاطب أعماق القلب بما فيها من أسس الإيمان التي تثبت القلب على الهدى، وفي هذا الفصل تعريفٌ بهذه السورة العظيمة.

المبحث الأول: أسماء السورة

لسورة الماعون أسماء متعددة، ذكرها أهل التفسير، ولكنها لم تثبت عن النبي ﷺ ، من ذلك:

قيل: هي "سورة الدِّين"[٤]، وقيل: "سورة اليتيم"[٥]، وقيل: سورة "أرأيت"، أو "أرأيت الذي يكذب"[٦]، وقيل: سورة "التكذيب"[٧]، وفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَاحِفِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ قد سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ «سُورَةَ الْمَاعُونِ» لِوُرُودِ لَفْظِ الْمَاعُونِ فِيهَا دُونَ غَيْرِهَا[٨].

المبحث الثاني: مكية السورة أو مدنيتها، وسبب نزولها

أولاً: مكية السورة أو مدنيتها:

اختلف المفسرون في مكية السورةِ أو مدنيّتها على ثلاثة أقوال:

---

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ص٢٩ (بتصرف).

(٢) إبراهيم زيد الكيلاني: هو الشيخ إبراهيم زيد عبد الحليم مصطفى الكيلاني، ولد في مدينة السلط عام ١٩٣٧م، مفكر إسلامي أردني، حاصل على دكتوراه في علم التفسير من جامعة الأزهر، له العديد من الكتب منها: دراسات في الفكر العربي الإسلامي، خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة، (ت: ٢٠١٣م). ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٣) المفصَّل، من سورة ق إلى آخر القرآن، وتمثل في مصحف المدينة النبوية (٥١٨ ـ ٦٠٤)، ينظر: المحرر في علوم القرآن، لمساعد الطيار، ص٢٤٨.

(٤) وهذا قاله الفراء، والبقاعي، والشوكاني، ينظر: معاني القرآن، للفراء (٣/ ٢٩٤)، نظم الدرر، للبقاعي (٢٢/ ٢٧٥)، فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٦١١).

(٥) وهذا ذكره الشوكاني، ينظر: فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٦١١).

(٦) ذكر هذا الشوكاني، ينظر: فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٦١١).

(٧) ذكر هذا الخفاجي والألوسي والبقاعي، ينظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي (٨/٤٠٠)، نظم الدرر، للبقاعي (٢٢/ ٢٧٥)، روح المعاني، للألوسي (١٥/ ٤٧٤).

(٨) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٣٠/ ٥٦٣).

القول الأول: أنها مكية بلا خلاف، وهذا هو قول الطّبري[(١)][(٢)] والزجاج[(٣)][(٤)] وابن عطية[(٥)][(٦)]، وهو قولُ الجمهور [(٧)].

القول الثاني: أنها مدنية، قال بذلك ابن عباسٍ رضي الله عنهما وقتادة[(٨)].

القول الثالث: قيل بأنه "نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أُبيَّ المنافق"[(٩)].

والذي يترجح هو القول الثالث لأمورٍ منها:

١. بالنظر إلى معاني الآيات نجد أن "النصف الأول من السورة يتحدث عن صفات المكذب الدين وهذا ما كان ظاهراً في مكة"، "وأما النصف الآخر فيتحدث عن صفات المنافقين، والنفاق لم يظهر إلا في المدينة".

٢. أن هذا الرأي هو اختيار بعض المفسرين. [(١٠)]

ثانياً: سبب نزولها:

قيل: "نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيّ"، وقيل: "كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ يَنْحَرُ كُلَّ أُسْبُوعٍ جَزُورَيْنِ، فَأَتَاهُمْ يَتِيمٌ فَسَأَلَهُ شَيْئًا فَقَرَعَهُ بِعَصَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}".[(١١)]

---

(١) الطبري هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر، المؤرخ ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، وهو من ثقات المؤرخين، صاحب المؤلفات منها جامع البيان في تفسير القرآن، وأخبار الرسل والملوك، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، توفي ببغداد سنة (٣١٠هـ)، ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٢٨٤/٢)، معرفة القراء الكبار، للذهبي، ص٢١٣.

(٢) جامع البيان، للطبري، (٢٤/ ٦٥٧).

(٣) الزجاج هو: إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أبو إسحاق، النحوي، كان عالماً أديباً ديناً صنف كتاباً في معاني القرآن، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما، توفي في بغداد سنة ٣١١هـ، ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير (٢/ ٦٢)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان (١/ ٣٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٥/ ٣٦٧).

(٥) ابن عطية هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الغرناطي، أبو محمد، الإمام المفسر، الفقيه، اللغوي، وصفه أبو حيان بقوله: أجل من صنّف في التفسير وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير. ألف المحرر الوجيز وغيره. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب (٣/ ٥٣٩)، الصلة في تاريخ ائمة الاندلس، لابن بشكوال، ص:٤٨٧، رقم الترجمة٨٢٨.

(٦) المحرر الوجيز، لابن عطية، (٥/ ٥٢٧).

(٧) نصَّ عليه ابن الجوزي في تفسيره، زاد المسير (٩/ ٢٤٣).

(٨) ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٩/ ٢٤٣)، لباب التأويل، للخازن (٤/ ٤٧٨)..

(٩) ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٩/ ٢٤٣)، لباب التأويل، للخازن (٤/ ٤٧٨).

(١٠) ينظر: الفوائد المستنبطة من سورة الماعون: دراسة استقرائية، د. طارق يوسف إسماعيل سليمان، ص ٦ ،(بتصرف).

(١١) ينظر: أسباب نزول القرآن، للواحدي، ص (٤٦٥)، (بتصرف).

وقال ابن عباس: " نزلت في رجل من المنافقين" [١] .

المبحث الثالث: مناسبة سورة الماعون لما قبلها ولما بعدها

أولًا: مناسبتها لما قبلها (سورة قريش):

جاء مطلع سورة الماعون مرتبطاً بالسورة التي قبلها وهي سورة قريش؛ فبعد أن عدد -سبحانه وتعالى- نعمه على قريش، وبعد أن أخبر عن جزائه بالانتقام ممن تعدى حدوده من قبيلة قريش، "ومن الرفق بهم بما هو غاية في الحكمة، فكان معرفاً بأن فاعله لا يترك الناس سدى من غير جزاء"، وناسب أن يأتي بعد ذلك الأمرُ بأن يقوموا بشكر نعم الله عليهم، وعبادة الله، وألا يشركوا به شيئاً، فأمرهم آخر سورة قريش "بشكر نعمته بإفراده بالعبادة"[٢]، ثم "عرفهم أول السورة أن ذلك لا يتهيأ إلا بالتصديق بالجزاء الأخروي" الذي يكون دافعاً لمعالي الأخلاق، ناهياً عن مساوئها، بأسلوب التعجب ممن يكذب بالجزاء مع وضوح الدلالة عليه، ووصف المكذبين بأوصاف ينفرون منها؛ ليكون "باعثاً لهم على التصديق وزاجراً عن التكذيب"[٣].

كما تظهر مناسبة السورة لما قبلها من وجهٍ آخر، فلما قال – سبحانه وتعالى- في السورة السابقة: «أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ» [سورة قريش: ٤]، ذم في هذه السورة الذين لا يتحاضّون على طعام المسكين، ولما قال تعالى في السورة السابقة: "فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ» [سورة قريش: ٣]، جاء هنا في سورة الماعون الذم لمن سها عن صلاته.[٤]

ثانيًا: مناسبتها لما بعدها (سورة الكوثر):

جاء في سورة الماعون وصف الذي يكذب بالدين بأمور أربع: البخل، والإعراض عن الصلاة، والرياء، ومنع المعونة.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢١٠/٢٠).
(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [سورة قريش: ٣، ٤].
(٣) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢٢/ ٢٧٥، ٢٧٦)، تفسير المراغي (٣/ ٢٤٧) (بتصرف يسير).
(٤) ينظر: تفسير المراغي (٣/ ٢٤٧) (بتصرف يسير).

ولما كانت سورة الماعون مصرحةً بالنهي عن مساوئ الأخلاق، كانت بمضمونها وإفهامها داعية إلى معالي الشيم، فجاءت بعدها سورة الكوثر لذلك، وكانت سورة الماعون قد ختمت بوصف أبخل البخلاء وأدنى الخلائق، للتنفير من البخل ومما جره من التكذيب، فابتدأت سورة الكوثر بوصف أجود الجود والعطاء الذي منحه الله –تعالى– لأشرف الخلائق رسوله –صلى الله عليه وسلم– ترغيباً فيه وندباً إليه، "فذكر أنه أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير"، "وأمره بالحرص على الصلاة ودوامها، والإخلاص فيها والتصدّق على الفقراء" [1].

المبحث الرابع: فضل السورة

لم يرد في سورة الماعون حديث صحيح صريح يُعتدُّ به لفضلها على وجه الخصوص [2]؛ والسور التي لم يرد حديث صحيح في فضلها خاصةً، ينظر إلى فضلها كباقي سور القرآن الكريم من حيث كونها كلام الله ﷻ الذي يُتعبّد بتلاوته، فهي كغيرها من السور لها عظيم الفضل، لكن لا يوجد لها تمييز على غيرها، ولا يختلف أجر تلاوتها عن أجر غيرها؛ إلا أن سورة الماعون من سور المفَصل الذي ورد في فضله حديث "واثلة بن الأسقع" –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ: "أُعطيتُ مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضلت بالمفصل".[3]

المبحث الخامس: مقاصد السورة

تضمنت سورة الماعون مجموعة من المقاصد الجليلة، فجاءت السورة لتحدد شخصية المؤمن، والصفات التي ينبغي عليه أن يكون عليه، فهي "سورة ذات معنى أصيل في الشريعة، تعالج حقيقة مضمونها": "أنّ هذا الدين ليس مظاهر وطقوسا، ولكنه

---

[1] ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢٢/ ٢٨٧)، تفسير المراغي (٣/ ٢٤٧) (بتصرف).

[2] توصلت على ذلك بعد البحث في جامع الكتب التسعة بجميع الأسماء التي سميت بها السورة، ولم أقف على أحاديث فيها في الكتب التسعة.

[3] أخرجه أحمد في مسنده (١٨٨/٢٨) رقم الحديث (١٦٩٨٢)، وحكم الحديث: حسن، حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٦٩/٣).

عقيدة صادقة، ويقين ثابت، وإخلاص لله". "ويتمثّل هذا اليقين بسلوك نافع، وحياة مستقيمة"، "كما أن هذا الدين ليس أجزاء وتفاريق موزّعة منفصلة، وإنما هو منهج متكامل، تتعاون عباداته وشعائره في تحقيق الخير للفرد والجماعة"[١].

تحدثت هذه السورة في الآيات الثلاث الأولى عن الكافر، وفي الآيات المدنية الثلاث الأخيرة عن المنافق في ترابطٍ يُظهر معظم مقصودها وهو:"الشكاية من الجافين على الأيتام والمساكين، وذم المقصرين، والمرائين، ومانعي نفع المعونة".[٢]

ومقصود السورة الأساسي الذي يتجلى في مطلعها هو: التنبيه على أن رأس الخبائث إنكار البعث، لأنه "يجرّئ المكذب على مساوئ الأخلاق ومنكرات الأعمال"؛ فيصبح التهاون بالعظائم خلقاً له فيصير ممن ليس له خلاق.[٣]

ومن مقصودها: التَّعْجِيبِ مِنْ حَالِ من كذبوا بالبعث والْجَزَاءِ، وَمَا أَوْرَثَهُمُ ذلك التَّكْذِيبُ مِنْ سوء الصَّنِيع الذي مَا تَفَرَّعَ عَلَيْهِ مِنْ دَعِّ الْيَتِيمِ وَعَدَمِ الْحَضِّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ.[٤]

فتحدثت السورة الكريمة عن المكذب بيوم الحساب، ووصفته بهاتين الصفتين التي يظهر فيها حاله في العبادة، فالأولى: التكذيب بالدين، يتبين منها عدم إحسانه في عبادة ربه، والثانية هي: زجره اليتيم، وعدم الحض على إطعام المسكين، يظهر فيها عدم فعله الخير لغيره[5]، أما ختام السورة فجاء في ذم المنافق، ووصفه بصفات ثلاث: "االغفلة عن الصلاة، والرياء، ومنع الماعون"، وتضمنت الآيات الوعيد للفريقين، ولفتت الأنظار إليهم "بأسلوب الاستهجان والتعجيب من صنيعهم"[٦].

الفصل الثالث: تفسير سورة الماعون في ضوء وحدتها الموضوعية

(١) الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين (١٢/ ٢٢١).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، (٨٦٩/٤) (بتصرف يسير).
(٣) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢٢/ ٢٧٥) (بتصرف يسير).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٥٦٤/٣٠) (بتصرف يسير).
(5) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي (٣٠/ ٤٢٠) (بتصرف).
(٦) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي (٣٠/ ٤٢٠) (بتصرف).

رغم قصر هذه السورة إلا أنها حوت الكثير من الفوائد ضمن آياتها، "وقد اهتم العلماء في إبرازها ما بين مكثر ومقل"، وفي هذا الفصل سنقف على دروس وفوائد هذه السورة وإبرازها، ومن خلال تتبع معاني السورة، نجد أنها تدور حول محورين أساسيين هما: ذمّ الكافر المكذب بيوم الحساب والجزاء، وذم المنافق، ويندرج تحتهما خمسة محاور فرعية، وهي:

١- ذم الكافر بعدم إحسانه في عبادة ربه.
٢- ذم الكافر بعدم فعل الخير لغيره.
٣- وصف المنافق بالغفلة عن الصلاة.
٤- وصف المنافق بمراءاته الناس بعمله.
٥- وصف المنافق بمنع الماعون.

والمتأمل في هذه المحاور يجدُ تناسقاً وتناسباً عجيباً بين آيات سورة الماعون، وبين موضوع السورة ومحوريها الرئيسيين؛ حيث جاءت هذه المحاور متناسقة مع محوريها الأساسيين في صورة تمثل وحدة متكاملة لا تقبل الانفصال.

المبحث الأول: ذمّ الكافر المكذب بيوم الحساب والجزاء، وفيه مطلبان:

استهلت هذه السورة الكريمة بذكر أوصاف المكذبين بالدِّين وما يعقبها من سوء العاقبة والمآل، وهذه الأوصاف هي: إيذاء الأيتام ودفعهم بشدةٍ، وعدم إطعام المساكين، مع حثّ غيرهم على ترك إطعامهم، وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث.

المطلب الأول: ذم الكافر بعدم إحسانه في عبادة ربه:

افتتحت السورة بالاستفهام الذي جاء في هذه الآية الكريمة قوله تعالى: { أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ} [سورة الماعون: آية ١]، للتّعجُّبِ ممن عارض الفطرة الإنسانية، وكيف كان تكذيبهم بيوم الدّين سببًا في الوقوع في سيِّءِ الأعمال، وقد جاء بالفعل المضارع {يُكَذِّبُ} ليدلّ على استمرارِ ذلك الفعلِ وتكرارِه، والِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّعْجِيبِ مِنْ

حَالِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْجَزَاءِ، "وَقَدْ صِيغَ هَذَا التَّعْجِيبُ فِي نَظْمٍ مَشُوقٍ لِأَنَّ الِاسْتِفْهَامَ عَنْ رُؤْيَةِ مَنْ ثَبَتَتْ لَهُ صِلَةُ الْمَوْصُولِ يَذْهَبُ بِذِهْنِ السَّامِعِ مَذَاهِبَ شَتَّى مِنْ تَعَرُّفِ الْمَقْصِدِ بِهَذَا الِاسْتِفْهَامِ"، "فَإِنَّ التَّكْذِيبَ بِالدِّينِ شَائِعٌ فِيهِمْ فَلَا يَكُونُ مَثَارًا لِلتَّعَجُّبِ فَيَتَرَقَّبُ السَّامِعُ مَاذَا يَرِدُ بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ" [١]، وقال القرطبي[٢]: "أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ: أَمُصِيبٌ هُوَ أَمْ مُخْطِئٌ" [٣].

وهاهنا تساؤل حول معنى الرؤية في الآية، هل هي من الرؤية البصرية، أم الرؤية القلبية فتكون بمعنى المعرفة والإخبار؟

وجواب ذلك:

١- قيل: أَنَّ "أَرَأَيْتَ" بِمَعْنَى أَخْبِرْنِي، فَتَتَعَدَّى لِاثْنَيْنِ، أَحَدُهُمَا "الَّذِي"، وَالْآخَرُ "مَحْذُوفٌ"، تقديره: أَلَيْسَ مُسْتَحِقًّا عَذَابَ اللَّهِ"، وَقَدَّرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ[٤]: "مَنْ هُوَ"، والمعنى: "هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو؟ إن لم تعرفه فَذَلِكَ الَّذِي يكذب بالجزاء، هو الذي يَدُعُّ الْيَتِيمَ" أي: "يدفعه دفعا بجفوة وأذى، وبردّه بزجر وخشونة"، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا بِمَعْنَى "أَخْبِرْنِي" أن في قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (أَرَأَيْتُكَ)[٥] بِكَافِ الْخِطَابِ، "لِأَنَّ كَافَ الْخِطَابِ لَا تَلْحَقُ الْبَصَرِيَّةَ". [6]

٢- وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ "مَنْ رُؤْيَةِ الْبَصَرِ"، فَلَا يَكُونُ فِي الْكَلَامِ حَذْف، "وَهَمْزَةُ الِاسْتِفْهَامِ تَدُلُّ عَلَى التَّقْرِيرِ وَالتَّفْهِيمِ"؛ لِيَتَذَكَّرَ السَّامِعُ مَنْ يَعْرِفُهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ[٧].

من هدايات الآيات:

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٣٠/ ٥٦٤) (بتصرفٍ يسير).

(٢) القرطبي هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، أبو عبد الله القرطبي، الفقيه المفسر، الزاهد، له في التفسير: الجامع لأحكام القرآن، وهو من أجلّ كتب التفسير، توفي القرطبي سنة (٦٧١) بمصر. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (ص:٣١٧ - ٣١٨)، ومعجم المفسرين، عادل نويهض (٢/ ٤٧٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٠/ ٢١٠).

(٤) الزمخشري هو: كَبِيْرُ المُعْتَزِلَةِ، أَبُو القَاسِمِ مَحْمُوْدُ بنُ عمر بن محمد، الزمخشري الخوارزمي النحوي، صاحب كتاب "الكشاف" وكتاب "المفصل"، رحلَ، وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ مِنْ نَصْرِ بنِ البَطِرِ وغيره، (ت: ٥٣٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٥/ ١٧)، وشذرات الذهب في اخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (١٩٤/٦-١٩٥).

(٥) وهي قراءة شاذة، ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، ص (١٨١-١٨٢).

(6) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (١٠/ ٥٥٢) ، والكشاف، للزمخشري (٨٠٤/٤) (بتصرف).

(٧) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (١٠/ ٥٥٢) (بتصرف).

١- أنَّ الآيات وإن كان لها سبب نزول، إلا أنّ "العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب"، قال ابن عرفة[١]: "الخطاب للنبي ﷺ، أو لكل واحد من النَّاس، وذكروا إنما نزلت في أبي سفيان، وخصوص السبب لَا يمنع من عموم الحكم"[٢].

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء، وبيان عواقب التكذيب بها [٣].

٣- الكذبُ والتكذيبُ يُورثُ عاقبة السُّوء [٤].

٤- التّكذيبُ بالدّينِ سببٌ لدفعِ اليتيم. قال الرازي: "وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ فَذلِكَ لِلسَّبَبِيَّةِ أَيْ أن كُفْرُهُ سَبَبًا لِدَعِّ الْيَتِيمِ"[٥].

المطلب الثاني: ذم الكافر بعدم فعل الخير لغيره:

بعد التعجب ممن يكذبون بالدين، جاء في الآيات التي تليها بيان علامات وصفاتٍ دالة على حال هؤلاء المكذبين في قوله تعالى: { فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣} [سورة الماعون: آية ٢-٣]

وهنا نلحظُ أنّ المكذّبَ بالدّين قد اتّصفَ بصفتين أُخريين، ألا وهما: دعُّ اليتيم، وعدم الحضّ على طعام المسكين، مع أنَّ المكذّبَ بالدّين قبائحه كثيرة، إلا أنّ الآية اقتصرتْ على هاتين الصفتين، وقد ذهبَ بعضُ العلماء إلى أنّ الآية اقتصرتْ على هذين المثالين إنما على سبيل التمثيل.

---

(١) ابن عرفة هو: محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، المالكي، أبو عبد الله، تمهَّر في الفنون وأتقن المعقول، إلى أن صار إليه المرجع في بلاد المغرب، وعلق عنه بعض أصحابه كلاماً في التفسير، كثير الفوائد، في مجلدين، وكان يلتقطه في حال قراءتهم عليه، ويدوّنه أولاً فأولاً، وكلامه فيه دالٌ على توسع في الفنون وإتقان وتحقيق، وقد طُبع جزء من تفسيره برواية تلميذه أبي عبد الله محمد بن خلفة الأُبِّي، توفي ابن عرفة سنة (٨٠٣). ينظر: إنباء الغمر، لابن حجر (٤/ ٣٣٦ _ ٣٣٨)، شذرات الذهب، لابن العماد (٧/ ٣٨).

(٢) تفسير ابن عرفة (٤/ ٣٤٧).

(٣) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)، لأبي بكر الجزائري، (٥/ ٦٢١) (بتصرف يسير).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٣٠/ ٥٦٤) (بتصرف يسير).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٣٢/ ٣٠٢).

ذَكَرَ الله –تعالى– وَصْفَيْنِ مَنْ يكذب الدين، أَحَدُهُمَا: فعلٌ: وَهُوَ قَوْلُهُ: {فَذلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}، ومَعْنَى {يَدُعُّ}: يَدْفَعُ دَفْعًا بِعُنْفٍ وَجَفْوَةٍ، أَيْ: يَدْفَعُ الْيَتِيمَ عَنْ حَقِّهِ دَفْعًا شَدِيدًا.

وَالثَّانِي: تركٌ: وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ}، ومعنى قوله تعالى: {وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} أَيْ: "لَا يَحُضُّ نَفْسَهُ وَلَا أَهْلَهُ وَلَا غَيْرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بُخْلًا بِالْمَالِ، أَوْ تَكْذِيبًا بِالْجَزَاءِ". [١]

وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ {فَذلِكَ} لِلسَّبَبِيَّةِ، أَيْ: أن كفره كَانَ سَبَبًا لِدَعِّ الْيَتِيمِ، و"معلومٌ أَنَّ الْمُكَذِّبَ بِالدِّينِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى هَذَيْنِ، وإنما ذُكرا عَلَى سَبِيلِ التمثيل"، "كَأَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقِسْمَيْنِ مِثَالًا وَاحِدًا تَنْبِيهًا بِذِكْرِهِ عَلَى سَائِرِ الْقَبَائِحِ، أَوْ لِأَجْلِ أَنَّ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ، كَمَا أَنَّهُمَا قَبِيحَانِ مُنْكَرَانِ بِحَسَبِ الشَّرْعِ فَهُمَا أَيْضًا مُسْتَنْكَرَانِ بِحَسَبِ الْمُرُوءَةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ"[٢].

ومما سبق: نلاحظ أن المراد من هذه السورة: بيان خصال الكفار، وأن منها: أن الكافر يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، فالكافر لما كان غير مقر بالحساب وبالمعاد، فليس له حاجة في إكرام اليتيم، وليس عنده خوف من نهره ودفعه وإهانته ما دام لا يطمع في ثواب الله ولا يخاف عقابه، فجديرٌ بأهل الإيمان أن لا يتشبهوا بخصال الكفار من دع اليتيم وعدم إطعام المساكين، فالنفوس جبلت على عدم البذل إلا بعوض ومقابل، وعدم الكفّ عن الأذى إلا من خوف، فإذا أُمِن الخوف من جانبي اليتيم والمساكين، وقُطِع الأمل من الجزاء منهما، لم يبق باعث للإحسان إليهما، ولا زاجرٌ عن الإساءة لهما إلا الإيمان بيوم الدين والبعث والحساب والجزاء، حيث يحاسب المرء على مثقال الذرة من الخير والشر.

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٣٢/ ٣٠٢)، وفتح القدير، للشوكاني (٥/ ٦١١) (بتصرف).
[٢] ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٣٢/ ٣٠٢) (بتصرف).

من هدايات الآيات:

١- تعظيم حقّ اليتيم، فقد جاءت الآية للتنديد بالذين يأكلون أموال اليتامى، ويدفعونهم عن حقوقهم استصغارًا لهم[١].

٢- كُنِّيَ "بنفي الحضّ عن نفي الإطعام"؛ "لأن الذي يشحُّ بالحضّ على الإطعام هو بالإطعام أشحّ"[٢].

٣- لما كانت رحمة الضعفاء علامة على الخير، كانت القسوة عليهم علامة على الشر، وقد جاء في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين»[٣] .[٤]

المبحث الثاني: ذم المنافق الذي أظهر الإسلام وأخفى الكفر

جاء هذا المقطع من السورة لبيان أن الإسلام اعتنى بصدق الاعتقاد، والإخلاص، ولا بدّ من أعمالٍ تكون مصدرًا للسلوك السّوي، ويكون القلبُ مخلصاً، فلا يُكتفى بالأعمال الظاهرة، فإن عمل الإنسان بدون إخلاص فذلك هو النفاق والرّياء.

المطلب الأول: وصف المنافق بالغفلة عن الصلاة:

بعد ذم الكافر المكذب بيوم الحساب والجزاء وبيان صفاته في الآيات الثلاث الأولى من السورة، جاءت الآيات التي بعدها لكشف حال المنافقين بذكر علاماتٍ دالةٍ على ذلك في قوله تعالى: {فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥}

وقد جاءت هذه الآيات بعد بيان ما كان عليه المجتمع من مساوئ الأخلاق، فقد أرادت الآيات – بعد بيان ما كان عليه المجتمع من تكذيب بالدّين، وقهرٍ لليتيم،

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري (٥/ ٦٢١) (بتصرف).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٣٠/ ٥٦٦) (بتصرف).
(٣) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، (٥/٢٨٣)، برقم (٣٢٣٥) ، وأخرجه أحمد (٣٦/ ٤٢٣)، برقم (٢٢١٠٩) بلفظه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ٣١٨).
(٤) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢٢/ ٢٧٩) (بتصرف).

وعدم الحضّ على إطعام المسكين – أرادت أن تُبينَ أن دخولهم في الصلاة نفاقًا ورياءً لا يعتدُّ به، فقد كانت أعمالهم تفضحهم بغير ذلك.

وثمة تساؤل هاهنا وهو كيف يكون الويل للمصلين، ومعلومٌ أن الصلاة عماد الدين، وبناء الإسلام يقوم عليها، ودعائمه تثبت بوجودها؟

والجواب: أن المراد هنا فئة من المصلين، وهم الساهون عنها، المستخفون بها، الذين يقومون إليها رياء ونفاقاً، وللسهو صورٌ متعددة أشار إليها العلماء في تفسيرهم للآية، **فيكون السهو عن الصلاة:**

١- إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ: كما يفعل المنافقون، وقد جاء عن ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ في معنى قوله تعالى: {فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ}: "يُعْنَى بهذا المنافقون الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَلَا يُصَلُّونَ فِي السِّرِّ، لأنهم كانوا إنما يراءون بالصلاة إِذَا هُمْ رآهم المؤمنون صلوا معهم، وإذا لم يروهم لم يصلوا". (١)

٢- وَإِمَّا السهو عَنْ فِعْلِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا شَرْعًا: فيضيع ميقاتها، ويُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَهُ مَسْرُوقٌ. (2)

٣- وَإِمَّا عَنْ وَقْتِهَا الْأَوَّلِ: "فَيُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِهِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا"، "ومن تعمَّد تأخيرها فالويل له أيضاً". (3)

٤- وَإِمَّا بالسهو "عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ". (4)

٥- وَإِمَّا عَنِ الْخُشُوعِ فِيهَا وَالتَّدَبُّرِ لمعانيها. (5)

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٦٦١) ، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٤٦٨)، ومعاني القرآن، لأبي إسحاق الزجاج، (٣٦٧/٥) (بتصرف يسير).

(2) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٦٦١) ، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٤٦٨) (بتصرف يسير).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٤٦٨)، ومعاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، (٣٦٨/٥) (بتصرف يسير).

(4) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٦٦١) ، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٤٦٨)، وتفسير السعدي، ص (٩٣٥) (بتصرف).

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٤٦٨) (بتصرف).

قال السعدي[١]:"والسهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الذم واللوم"، "وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي ﷺ" [٢].

من هدايات الآيات:

١- فرقت الآية بين السهو وبين النسيان، فقد وصفت الآية هؤلاء المصلين بأنهم ساهون عن صلاتهم، وليسوا ناسين لها.

والسؤال هنا ما الفرق بين النسيان والسهو؟

وجوابه: أنه معنى النّسيان جاء في اللغة: أنه خلاف الذكر والحفظ، وجاء النسيان بمعنى: الترك. قال الله تعالى: {**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**} (التوبة:٦٧)، أما السّهو: "فهو الغفلة، وقد سها عن الشيء يسهو فهو ساهٍ وسَهْوانُ" [٣]، وَالسَّهْوُ حَقِيقَتُهُ: "الذُّهُولُ عَنْ أَمْرٍ سَبَقَ عِلْمُهُ"، "وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِلْإِعْرَاضِ وَالتَّرْكِ عَنْ عَمْدٍ اسْتِعَارَةً تَهَكُّمِيَّةً مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {**وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**} [الْأَنْعَام: ٤١] أَيْ تُعْرِضُونَ عَنْهُمْ"، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ الْوَعِيدَ عَلَى السَّهْوِ الْحَقِيقِيِّ عَنِ الصَّلَاةِ لِأَنَّ حُكْمَ النِّسْيَانِ مَرْفُوعٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَذَلِكَ يُؤكد عَلَى أَنَّ وَصْفَهُمْ بِالْمُصَلِّينَ "تَهَكُّمٌ بِهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ"[٤].

٢- متى يُرفع فيه الحرج عن المسلم في حال نسيان العبادة؟

النسيان يُرفع فيه الحرج والإثم عن صاحبه إن كان ناسياً له دون قصد، وقد جاء ما يدل على ذلك: في قوله -ﷺ-: «مَنْ نَسِيَ صَلاَةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا، لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إِلاَّ ذَلِكَ» [٥]، ففي ذلك دليل على الْأَمر بِقَضَاء النَّاسِي من غير إِثْم.

---

[١] السعدي هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي التميمي، من بلدة عنيزة بالقصيم، عالم مبرز في فنون كثيرة، كالعقيدة والتفسير وأصوله، والفقه وأصوله، والنحو، والتربية، وغيرها. من مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، والدرة البهية في شرح القصيدة التائية، وتوضيح الكافية الشافية، وغيرها، (ت: ١٣٧٦هـ). ينظر: الأعلام، للزركلي، (٣/٣٤٠)، علماء نجد خلال ستة قرون، لعبد الله البسام (٢/٤٢٢).

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (٩٣٥).

[٣] ينظر: الصحاح، للجوهري، مادة (نسا)، (٦/ ٢٥٠٨).

[٤] ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٣٠/ ٥٦٩) (بتصرف).

[٥] أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسي صلاةً فليصلِّ إذا ذكرها، (١/١٢٢) برقم (٥٩٧)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، (٢/١٤٢) برقم (٦٨٤) بلفظٍ مقارب.

أما الذي يتناسى فهو يعمل على تجنب الفعل أوالأمر، رغم إدراكه له، فيؤخر العبادة، ويسهو عن الطاعة عمداً. [١]

المطلب الثاني: وصف المنافق بمراءاته الناس بعمله:

بعد التنديد والوعيد الوارد في حق من يتهاونون بالصلاة، وهو من أبرز صفات المنافقين، جاء التحذير من وصفٍ آخر لا يكاد ينفك عن النفاق، وهو الرياء في قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ}، والآية جاءت لبيان الوصفِ الحقيقي لما في قلوبهم، فهم يراءون: "أي يَقْصِدُونَ أَنْ يَرَى النَّاسُ أَنَّهُمْ عَلَى حَالٍ حَسَنٍ وَهُمْ بِخِلَافِهِ"، فيفعلون بقدر ما يراه الناس، دون أن تستشعر قلوبهم خشية الله ﷻ ؛ فهُمْ يُظهرون أعمالهم للناس ليروهم الثناء عليهم، ولِيَتَحَدَّثَ النَّاسُ لَهُمْ بِمَحَاسِنَ مَا هُمْ بِمَوْصُوفِينَ بِهَا، فالمرائي لا يعمل العملَ إلا لأجل السمعةِ وإرضاءِ الآخرين، ولأجل مصالحه [٢]، وقد ورد في السنة ما يدل على أهمية الإخلاص، والتحذير مما يقدح فيه كالرياء: فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵁ قَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ ينكحها، فهجرته إلى ما جاهر إليه)" [٣].

من هدايات الآيات:

١- أهمية إخلاص النية في قبول العمل.

٢- لا يقدح في الإخلاص فرح المؤمن بثناء الناس عليه عند الفراغ من العمل، فمن عَمِلَ عملاً خالصًا لله، ثم جعل الله لهُ في قُلوبِ المؤمنين الثَّناء الحسنَ، فأعجبه ذلك واستبشَرَ، فلَا يُعَدُّ هَذَا رِيَاءً، يدلُّ على ذلك حديثُ أبي ذرٍّ –﵁– قال":

---

(١) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (٥/ ٩٣) (بتصرف كبير).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٣٤١)، والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٣٠/ ٥٦٨) ، وتفسير المراغي، أحمد المراغي (٣٠/ ٢٤٨) (بتصرف).

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي (٣/١) رقم (١)، ورواه مسلم، كتاب الإمارة، باب قَوْلِهِ ﷺ (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ) (٣/ ١٥١٥) رقم (١٩٠٧) بلفظٍ مقارب.

قيل لرسول الله ﷺ، أرأيتَ الرَّجُل يعملُ العمَلَ مِنَ الخير ويحمَدُه النَّاسُ عليه؟"، قال: "تلكَ عاجلُ بُشرى المؤمن"[1]. [2]

المطلب الثالث: وصف المنافق بمنع الماعون:

اختتمت هذه السورة بهذه الآية الكريمة: قَوْلُهُ تَعالى: { وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ}، والمعنى: "أنهم لَا أَحْسَنُوا عِبَادَةَ رَبِّهِمْ وَلَا أَحْسَنُوا إِلَى خَلْقِهِ حَتَّى وَلَا بِإِعَارَةِ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَيُسْتَعَانُ بِهِ"، فَهَؤُلَاءِ لِمَنْعِ الزَّكَاةِ وَأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ أُولَى، وجاءت في الآية المنع على صيغة الفعل المضارع لما في ذلك من الدلالة على الاستمرار في ذلك السلوك، وهو "وصْفٌ لَهم بِقِلَّةِ النَفْعِ لِعِبادِ اللهِ، وتِلْكَ شَرُّ خُلَّةٍ"، فالعبد المؤمن يستمرُّ في فعل الخير، والمبادرة إلى تقديم المساعدات للآخرين. [3]

وقد اختلف أهل التفسير في بيان معنى {الْمَاعُونَ} على أقوالٍ[4]:

٣- قيل: المراد به الزكاة، قالَه "عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالِبٍ وابْنُ عُمَرَ" -رَضِيَ اللهُ عنهُمْ-.

٤- وقيل: هو "ما يَتَعاطاهُ الناسُ بَيْنَهم كالفَأْسِ والدَلْوِ والآنِيَةِ والمِقَصّ ونَحْوِه". قالَه ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ: وقالَهُ الحَسَنُ، وقَتادَةُ، وابْنُ الحَنَفِيَّةِ، وابْنُ زَيْدٍ، والضَحّاكُ، وابْنُ عَبّاسٍ.

٥- وقيل: المال. قالَ ابْنُ المُسَيِّبِ: الماعُونُ -بِلُغَةِ قُرَيْشٍ- المالُ.

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إنَّ اللهَ وصفهُم بأنهم يمنعونَ الناسَ ما يتعاورونه بينهم"، "ويمنعونَ أهل الحاجةِ ما أوجبَ الله لهم من الحقوق؛ لأن كل ذلك من المنافعِ التي ينتفعُ بها الناسُ بعضُهم من بعض"[5].

---

[1] رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره، (٤٤/٨)، برقم(٢٦٤٢)،

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٤٦٩)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لابن رجب (٨٤/١) (بتصرف).

[3] ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ٥٢٨)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٤٧٠)،

[4] ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ٥٢٨)، الكشاف، للزمخشري (٨٠٤/٤)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٤٧٠)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٥٦٤/٣٠)(بتصرف).

[5] جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٦٧٨).

من هدايات الآيات:

١- منع الماعون من صفات المنافقين، لأن من كمال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه.

٢- أنّ هؤلاء "أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين، ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة"، دليلاً واضحاً "على أنهم مكذبون بالدين، وكم ترى من المتسمين بالإسلام، من هو على هذه الصفة" التي جاء التحذير منها.[١]

٣- أنّ "هذه السورة الكريمة تصلح عنواناً بارزاً لكل أنواع التكامل والتضامن الاجتماعي فيما بين الناس، حتى تسود المحبة والود، ويتآلف البشر، ويعم الرفاه والاستقرار أنحاء المجتمع، وتعيش كل جماعة في أمن وعافية وسلام".[٢]

التوصيات

١- أوصي الباحثين بالعناية بدراسة الوحدة الموضوعية لسور القرآن.

٢- أوصي الباحثين بدراسة وتأصيل الأسس العلمية التي تؤدي إلى تكاتف المجتمع، والألفة بينهم، والعمل بما جاء في هذه السورة؛ ليتسنى للمجتمع أن يعود لحياته القرآنية، بما يحصل لهم من الإيمان بالله، وإقامة الصلاة، والإخلاص في العبادة، وتيسير أمور الضعفة والمساكين.

٣- أوصي الباحثين بتقديم مقترحات ودراسات تخدم المؤسسات الخيرية والأوقاف في مجال كفالة الأيتام، وسد حاجة المساكين.

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- القزويني، أحمد بن فارس، ١٩٧٩م " معجم مقاييس اللغة"، دار الفكر.
٣- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، ٢٠٠١م،" تهذيب اللغة"، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤- ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٤١٤ هـ، "لسان العرب"، دار صادر – بيروت.
٥- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد،١٤١٢ هـ، "المفردات في غريب القرآن"، دار القلم، بيروت.
٦- الطبري، محمد بن جرير، ٢٠٠١م، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، دار هجر.

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٤/ ٨٠٤) (بتصرف).
(٢) ينظر: التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي (٣/ ٢٩٤٢).

٧- الزركشي، محمد بن عبد الله، ١٩٥٧ م، "البرهان في علوم القرآن"، دار إحياء الكتب العربية.
٨- الجوهري، إسماعيل بن حماد، ١٩٨٧ م، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، دار العلم للملايين – بيروت.
٩- سعيد، عبد الستار فتح الله، ١٩٩١م، "المدخل إلى التفسير الموضوعي"، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١٠- محمد، مصطفى مسلم،٢٠٠٥م، "مباحث في التفسير الموضوعي"، دار القلم.
١١- الحميضي، إبراهيم بن صالح، ١٤٤٣هـ، "المدخل إلى التفسير الموضوعي"، دار ابن الجوزي، الدمام.
١٢- الزهراني، أحمد بن عبد الله،١٤١٠ – ١٤١٣هـ، "التفسير الموضوعي للقرآن"، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣- الدامغاني، الحسين بن محمد،١٩٨٣م، "إصلاح الوجوه والنظائر"، دار العلم للملايين.
١٤- إسماعيل، محمد بكر، ١٩٩٩م، "دراسات في علوم القرآن"، دار المنار.
١٥- الطيار، مساعد بن سليمان،١٤٣٤ هـ، "أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتَفسير القُرآن الكريم"، دار ابن الجوزي.
١٦- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،١٩٧٤م، "الإتقان في علوم القرآن"، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٧- محمد بن أبي بكر، ابن القيم،١٩٨١م، "الأمثال في القرآن"، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
١٨- با زمول، محمد بن عمر، "تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة"، دار الميراث النبوي، الجزائر.
١٩- الذهبي، محمد بن أحمد، ١٩٨٥م، "سير أعلام النبلاء"، مؤسسة الرسالة.
٢٠- الصفدي، خليل بن أيبك، ٢٠٠٠م، "الوافي بالوفيات"، دار إحياء التراث، بيروت.
٢١- "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، محمد بن عبد الرحمن، السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،
٢٢- الزركلي، خير الدين بن محمود، ٢٠٠٢م، "الأعلام"، دار العلم للملايين.
٢٣- الطيار، مساعد بن سليمان، ٢٠٠٨ م، "المحرر في علوم القرآن"، مركز الدراسات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.
٢٤- الفراء، يحيى بن زياد، "معاني القرآن"، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.
٢٥- البقاعي، إبراهيم بن عمر، ١٩٨٤م، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٢٦- الشوكاني، محمد بن علي،١٤١٤هـ، "فتح القدير"، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب _ دمشق، بيروت.
٢٧- الخفاجي، أحمد بن محمد، "عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِالبَيضَاوي"، دار صادر – بيروت.
٢٨- الألوسي، محمود بن عبد الله، ١٤١٥ هـ، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٩- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، ١٩٨٤ هـ، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر – تونس.
٣٠- الذهبي، محمد بن أحمد،١٩٩٧م، "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، دار الكتب العلمية.
٣١- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، "اللباب في تهذيب الأنساب"، دار صادر _ بيروت.
٣٢- ابن خلكان، أحمد بن محمد،١٩٩٤م، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، دار صادر، بيروت.
٣٣- الزجاج، إبراهيم بن السري،١٩٨٨م، "معاني القرآن وإعرابه"، عالم الكتب، بيروت.
٣٤- الغرناطي، محمد بن عبد الله، ١٤٢٤هـ، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٥- ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، ٢٠١٠م، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس"، دار الغرب الإسلامي.
٣٦- الأندلسي، عبد الحق بن غالب، ١٤٤٢هـ، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٧- الجوزي، عبدالرحمن بن علي، ١٤٢٢هـ،"زاد المسير في علم التفسير"، دار الكتاب العربي – بيروت .
٣٨- الخازن، علي بن محمد، ١٤١٥هـ، "لباب التأويل في معاني التنزيل"، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٩- إسماعيل، طارق يوسف، ٢٠١٩م، "الفوائد المستنبطة من سورة الماعون: دراسة استقرائية"، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة.
٤٠- الواحدي، علي بن أحمد، ١٩٩٢م، "أسباب نزول القرآن"، دار الإصلاح – الدمام.
٤١- القرطبي، محمد بن أحمد، ١٩٦٤ م، "الجامع لأحكام القرآن"، دار الكتب المصرية – القاهرة.
٤٢- الداني، عثمان بن سعيد، ١٩٩٤م، "البيان في عد آي القرآن"، مركز المخطوطات والتراث، الكويت،
٤٣- القضاة، محمد أحمد، ٢٠٠١م "مقدمات في علم القراءات"، دار عمار – عمان، الأردن.
٤٤- الجزري، محمد بن محمد،١٣٥١هـ، "غاية النهاية في طبقات القراء"، مكتبة ابن تيمية.

٤٥- الذهبي، محمد بن أحمد،١٩٩٧م، "طبقات القراء"، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
٤٦- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن،٢٠١٠م، "التفسير الموضوعي"، كلية الدراسات والبحث العلمي، جامعة الشارقة.
٤٧- المراغي، أحمد بن مصطفى، ١٩٤٦م، "تفسير المراغي"، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٤٨- الشيباني، أحمد بن حنبل، ٢٠٠١ م، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مؤسسة الرسالة.
٤٩- الألباني، محمد ناصر الدين، ١٩٩٥ م، "سلسلة الأحاديث الصحيحة "، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
٥٠- شرف الدين، جعفر،١٤٢٠هـ، "الموسوعة القرآنية: خصائص السور"، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت.
٥١- البلخي، مقاتل بن سليمان، ١٤٢٣ هـ، "تفسير مقاتل بن سليمان"، دار إحياء التراث – بيروت.
٥٢- الزحيلي، وهبة بن مصطفى،١٩٩١م، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٥٣- "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، إبراهيم بن علي ، اليعمري ، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة،
٥٤- نويهض، عادل، ١٩٩٨م، "معجم المفسرين"، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان.
٥٥- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، ١٩٨٦م، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، دار ابن كثير، دمشق _ بيروت.
٥٦- ابن خالويه، الحسين بن أحمد، "مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع"، مكتبة المتنبي، القاهرة.
٥٧- الأندلسي، محمد بن يوسف،١٤٢٠هـ، "البحر المحيط في التفسير"، دار الفكر، بيروت.
٥٨- الزمخشري، محمود بن عمرو، ١٤٠٧هـ، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، دار الكتاب العربي – بيروت.
٥٩- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ١٤٢٢هـ، "التفسير الوسيط"، دار الفكر، دمشق.
٦٠- العسقلاني، أحمد بن علي، ١٩٦٩م، "إنباء الغمر بأبناء العمر"، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث.
٦١- الورغمي، محمد بن محمد، ٢٠٠٨م، "تفسير ابن عرفة"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦٢- الجزائري، جابر بن موسى، ٢٠٠٣م، "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
٦٣- الرازي، محمد بن عمر، ١٤٢٠هـ، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٦٤- القرشي، إسماعيل بن عمر، ١٤١٩ هـ، "تفسير القرآن العظيم"، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٥- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر،٢٠٠٠م، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، مؤسسة الرسالة.
٦٦- الترمذي، محمد بن عيسى، ١٩٧٥م،"سنن الترمذي"، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.
٦٧- البسام، عبد الله بن عبد الرحمن، ١٤١٩هـ، "علماء نجد خلال ستة قرون"، دار العاصمة.
٦٨- البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤٢٢ هـ، "الجامع الصحيح المختصر"، دار طوق النجاة – بيروت.
٦٩- النيسابوري، مسلم بن الحجاج،١٩٥٥ م، "صحيح مسلم"، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
٧٠- العيني، محمود بن أحمد، ١٤١٨ هـ، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٧١- البيضاوي، عبد الله بن عمر، ١٤١٨ هـ، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٧٢- السلامي، عبد الرحمن بن أحمد، ١٩٩٧ م، "جامع العلوم والحكم"، مؤسسة الرسالة – بيروت.